دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	النمو الإنساني في المنظور الإسلامي وعلم النفس
المصدر:	مجلة دراسات إسلامية
الناشر:	جامعة الخرطوم - كلية الاداب - قسم الدراسات الإسلامية
المؤلف الرئيسي:	أحمد، إسراء محمد البشير مفرح
المجلد/العدد:	ع7
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2015
الصفحات:	197 - 232
رقم MD:	774119
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	الصحة النفسية، الرعاية الإجتماعية، النمو الإنساني، علم النفس التربوي، مستخلصات الأبحاث، المجتمع المسلم
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/774119

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

دراسات إسلامية

مجلة علمية سنوية محكمة العدد السابع/ 1437 هـ 2015 م

النمو الإنساني في المنظور الإسلامي وعلم النفس

د. إسراء محمد البشير مفرح

قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم

يصدرها قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم –قسم الثقافة الإسلامية بإدارة مطلوبات جامعة الخرطوم (232-197)

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى تقصي الرؤى حول النمو الإنساني في المنظور الإسلامي وتيارات علم النفس المختلفة. حيث بينت الدراسة أطوار النمو البشري ومراحله والمؤثرات عليه التي أشارت إليها المصادر الأصلية " **آيات القرآن الكريم وحديث النبي** صلى الله عليه وسلم" بالإضافة إلى آراء المفكرين المسلمين الذين تأثروا بالموجهات الدينية في تناولهم لمظاهر النمو والمؤثرات عليه. كما أبرزت أهم الآراء حول النمو الإنساني والمؤثرات عليه التي أبرزتها تيارات علم النفس المختلفة. استخدمت الباحثة المنهج الاستقرائي التحليلي في رصد وتقصي ومقارنة الرؤى حول موضوع الدراسة، وخلصت الورقة إلى عدة نتائج أهمها، اتفاق المنظور الإسلامي وعلم النفس في الاهتمام بدراسة النمو الإنساني وبيان مراحله والمؤثرات عليه، كما بينت تميز التناول الإسلامي لظاهرة النمو الإنساني بإبراز عامل المشيئة الإلهية باعتبارها مؤثرا جوهريا مهيمنا على النمو ومراحلة والمؤثرات عليه، وتناول مراحل النمو قبل الميلاد وبعده.

Abstract:

The objective of this study is to explore the opinions in the Islamic perspective and psychology concerning human development. The study highlighted the stages of human development in the holy Quran and the sayings of the prophet " peace be upon him ", in addition to the Muslim scholars and different psychological views on the subject. The deductive analytic approach was used in compiling and comparing the views on the subject of the study; the most important conclusion of the study is that both Islamic perspective and psychology took great interest in studying human development, its stages and the factors that influences it. In addition, the Islamic perspective is distinguished by establishing God's will as the dominant factor that affects human development through life and after death.

مقدمة:

النمو عملية حيوية مميزة للكائنات الحية عامة، ويرتبط النمو عادة بالزيادات الجسمية والتركيبية الملحوظة في الكائن الحي التي ترتبط بعامل الوقت. وعند استخدام التعبير في الإشارة إلى البشر فإنه يدل بصورة عامة على التغيرات المرتبطة بالنمو الجسمي والوظيفي التي تطرأ على الإنسان خلال حياته. [1] فيمكن تمييز جوانب وصور عدة للنمو البشري تتمثل بصورة عامة في النمو الجسمي والعقلي والأخلاقي والاجتماعي. ويتناول الباحثون هذه الجوانب بالدراسة كل حسب توجهاته النظرية الفلسفية والمهنية. وتختلف تبعا لذلك جوانب النمو التي تهتم بها كل طائفة فكرية أو جماعة دينية أو تيار علمي بحثي نظري أو عملي. إلا أن كل هذه التيارات يجمعها هدف واحد هو محاولة فهم عملية النمو ومعرفة العوامل المحددة لها والمؤثرة عليها.

النمو في المنظور الإسلامي:

يدل مفهوم النمو في المنظور الإسلامي على مظاهر الترقي أو الزيادة النوعية والكمية لمقدرات الإنسان وبنيته الجسمية. وتأتي الإشارة إلى تلك المظاهر في المصادر الأصلية " **القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة** " في سياق الهداية والتذكير بوجود الخالق وقدرته وتفضله على بني آدم. فقد أشارت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى مظاهر النمو المختلفة كما حظي باهتمام مفكري الإسلام.

النمو في القرآن والحديث:

تؤكد الرؤية الدينية متمثلة في القرآن الكريم والحديث النبوي نمو الكائن البشري ككل متكامل في مراحل متتابعة تبدأ ببداية خلقه وتنتهي بموته. ويرتبط النمو في النص القرآني خاصة والخطاب الديني بصورة عامة بتأهيل الفرد لتحمل

(1) هنري و .ماير , ثلاث نظريات في نمو الطفل، ترجمة هدى محمد قناوي، د. م. ن، ب. ت، ص 7.

عبء التكليف وعمارة الأرض. وهو ما أشارت إليه رجاء عبيد في محاولتها لتحديد النظرية الإسلامية للنمو من أن الهدف العام للنمو في الإسلام هو إعداد الفرد حتى يصير عضوا صالحا فاعلا في المجتمع، ساعيا دوما لنيل رضوان الخالق سبحانه وتعالى في كل جوانب الحياة الخاصة والعامة. [2] ويشير النص القرآني إلى أطوار وأنماط النمو الإنساني بتتابع الخلق وأطواره. ويؤكد هذا قوله تعالى: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ [الزمر: ٦]، أي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم لحما. [3] فهي مراحل متتالية مختلفة الصفات والخصائص تمثل مراحل نمو الجنين في بطن أمه. كما يشير لفظ الطور المرتبط بالخلق في السياق القرآني إلى معاني النمو الكمي والوظيفي بعد الميلاد. ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح: ١٣–١٤]. أي حالا بعد حال. [4] كذلك من الألفاظ التي تؤدي معني النمو أو التطور في السياق القرآني لفظ " طبق " في قوله تعالى: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ [الانشقاق: ١٩] أي لتركبن حالا بعد حال، ومنزلا بعد منزل. [5] وتكثر الآيات التي تصف مراحل النمو الإنساني وما يتصل بها من تزويد بأدوات وملكات تعين على تحمل عبء التكليف والدلالة على فضل الخالق، مثبتة لحسن الخلق وكماله مع تواضع مبدئه الطيني وارتباطه بالماء المهين. ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٧–٩]. فآدم أول مخلوق من طين نفخ فيه الله سبحانه وتعالى من روحه، أي الروح التي هي ملكه [6]، ولا يبعد نسله عن الارتباط بالتراب والماء. إلا أن الله زوده بالأدوات المتدرجة الوجود والأهمية من سمع وأبصار

(2) Raga A. Obeid, An Islamic Theory of Human Development, EDT Murray Thomas, Oriental Theories of Human Development: Scriptural and Popular Beliefs from Hinduism, Buddhism, Confucianism, Shinto and Islam, Peter Lang Publishing, New York, 1988, P. 158.

(3) أبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القران ، مج ٨ ، ج ١٥ ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٢٣٦.

(4) الإمام محمد الرازي فخر الدين، تفسير الرازي: المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتح الغيب، مج ١٥، ج ٣٠، قدم له الشيخ خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان بيروت، ١٩٩٥، ص ١٤٠.

(5) شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، خرج أحاديثه احمد بن شعبان بن احمد، ط ١، مكتبة الصفا، القاهرة، ٢٠٠٥ م، ص ١٩٦.

(6) الرازي، تفسير الرازي، مج ١٣، ج ٢٥، ص ١٧٤.

وأفئدة تمثل تمام الذهن وتمام الدرجة الإنسانية المستحقة للتكليف. فالآيات دائمة الإشارة والتذكير بتفضل الله سبحانه وتعالى على الإنسان واختصاصه له بما يؤهله ويعينه على تحمل وأداء ما كلف به.

أنماط وأطوار النمو في القرآن والحديث:

تتضح من النصوص القرآنية الإشارة إلى أنماط مختلفة من النمو تتمثل بصورة أساسية في أطوار النمو الجسمي، الذي ترتبط به أنماط من النمو الأخلاقي والعقلي والسلوكي الاجتماعي التي تتدرج بتدرج العمر. وتصف الآيات القرآنية تدرج النمو خلال مرحلتين متمايزتين متتاليتين لأطوار الخلق أو النمو الإنساني في الحياة الدنيا. إلا أن هاتين المرحلتين مرتبطتان بالخلق الأول والغرض منه والمصير الذي يؤول إليه الفرد في خاتمة المطاف. فالنظرة الدينية للنمو نظرة إلى عملية متصلة تغطي كامل الوجود الإنساني. (7) وقد فصلها الرازي إلى أطوار تمتد من طور الطين إلى البعث بعد الموت. (8) وتشمل مرحلة النمو الأرضي التي يلخصها قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [غافر: ٦٧] ويشمل النمو الأرضي مرحلتين بارزتين هما:

المرحلة الأولى:

مرحلة ما قبل الميلاد، التي تبدأ " بجمع الخلق "، أي تخلق الخلايا الجنسية أو النطف (9)، المؤدي إلى تخلق الجنين بالتقاء النطفتين المؤنثة والمذكرة وتنتهي بلحظة ميلاد الطفل. وهي فترة الحمل التي تستمر عادة تسعة أشهر. ويستنبط من آيات القرآن أن أدناها ستة أشهر وهو ما أجمع عليه الفقهاء. (10) لتداخل مدة الحمل والرضاع في الآية ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف: ١٥]. وتحديد مدة الرضاع بعامين في قوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ

(7).R. Obied, op. cit, P. 172

(8) الرازي، تفسير الرازي، مرجع سابق، مج ١٢، ج ٢٣، ص ٨٥–٨٧.

(9) مأمون شقفة، القرار المكين، ط ٢، دار الآداب، الشارقة، ١٩٨٧ م، ص ١٤٢.

(10) ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ص ١٨١.

كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. أما أقصى مدة الحمل فلم ينص عليها مما أدى إلى تراوح الآراء حولها من عامين إلى أربعة أو خمسة أو سبعة أعوام. [11] وهي آراء شاذة لا يمكن قبولها في الوقت الحاضر. وإن أمكن محاولة تعليلها باعتماد الأوائل على انقطاع الحيض كدليل على حمل المرأة التي تكون في سن الإنجاب. وقد يكون انقطاعه لعارض ثم يزول هذا العارض ويحدث الحمل بعد ذلك مباشرة فتحسب فترة الانقطاع كلها كفترة حمل وإن لم يتجاوز الحمل في الحقيقة المدى الطبيعي المعتاد. كما لا تخفى المعضلة التشريعية التي يمكن أن تترتب على اعتماد هذه الآجال المتطاولة للحمل في حساب العدة وإثبات النسب.

تصف الآيات القرآنية فترة الحمل هذه وصفا يبين أطوار النمو الجسمي للجنين المتخلق في بطن أمه وتؤكد معنى النمو والتطور المتتابع المتمايز المراحل تأكيدا لتميز كل مرحلة عن سابقتها ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢—١٤]. فيذكر الله تعالى " تقلب الإنسان في أدوار الخلقة وأكوان الفطرة ". [12] للدلالة على وجوده واتصافه بصفات الوحدانية والجلال. فالآيات تصف أدوار الخلق في الرحم وصفا مفصلا في إطار أدوار الوجود الإنساني من الطين إلى البعث. وتوضح الأحاديث النبوية ما يصاحب هذا النمو المتتابع من أحداث تسهم في تزويد هذا الكائن النامي بمقومات إنسانيته التي ترتبط بنفخ الروح فيه وما يصاحب ذلك من كتابة أجله ورزقه. روى البخاري عن زيد بن وهب وآخرين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات، فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أو سعيد. ثم ينفخ فيه الروح ". [13] فكل أحداث هذه المرحلة بعلم الله

(11) ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ص ١٨٣.

(12) الرازي، تفسير الرازي، مرجع سابق، مج ١٢، ج ٢٣، ص ٨٥.

(13) أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الجامع الصحيح، المكتب الجامعي للحديث، الازراطية الإسكندرية، ب. ت، ج ٢، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ١، ح ٣٣٣٢، ص ٣٥٠.

وأمره وتصرفه وحده، ليس للإنسان الخيرة فيها أو التأثير المباشر عليها، فهي مرحلة فعل الله الخالص. ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦].

ويحدد النص القرآني ثلاثة أطوار رئيسية لنمو الجنين داخل الرحم سماها بمسميات خاصة " نطفة "، " علقة "، " مضغة ". تدل على خصائص كل طور بدقة لا تؤديها أي مرادفات أخرى. ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١].

ويبين حديث الأربعينيات السابق ما يجري فيها من أحداث. وهذه الأطوار هي:

(1)طور النطفة: ويدل لفظ نطفة على الخلايا التناسلية المؤنثة " البويضة " والمذكرة " الحيوان المنوي " والتي ينتج عن اندماجها النطفة الأمشاج " البويضة المخصبة " التي تمثل أول مراحل تخلق الجنين. (14) ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ﴾ [الإنسان: ٢]. وتحدد في هذا الطور الأقدار المحكومة جينيا. فيتحدد جنس المولود وإمكانية استمرار نموه واكتمال الحمل والصفات الوراثية التي تحكم حياته إلى أن يموت. (15) ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ [عبس: ١٩]. وهو طور الجمع المشار إليه في الحديث ومدته أربعون يوما. وفي نهايته يشبه الحمل "كتلة الطين التي يجمعها النحات قبل أن يبدأ بتصوير الأعضاء ". (16)

(2)طور العلقة: وما العلقة إلا من التعليق فوجب التوقف عن تفسيرها بالدم المتجمد كما درج المفسرون " فالحمل الطبيعي أبدا لا يحاط بدم متخثر جامد ". (17) وهي النطفة الأمشاج وقد تعلقت بالرحم. وهي مرحلة التصوير السريع ومدتها أربعون يوما كما دل الحديث. وبنهايتها يكون الكائن الجديد مكتمل الأعضاء سويا، وهو ما أجمعت

(14) شقفة، مرجع سابق، ص ١٤٢–١٤٧.
(15) شقفه، ص ١٧٢–١٨٨.
(16) شقفة، ص ٢٠٠.
(17) المرجع نفسه، ص ١٩٤.

عليه كتب علم الجنين [Embryology]. [18] ودل عليه قول المولى سبحانه: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴾ [القيامة: ٣٨]. أي تطور العلقة إلى خلق مستو كامل.

(3)طور المضغة: والمضغة هي مقدار ما يمضغ وليس ما به أثر المضغ على ما ذهب إليه المفسرون وأهل اللغة وبعض الأطباء. مدتها أربعون يوما كذلك كما نص الحديث. ينتهي فيها الاعتماد على التعلق ويتميز الحمل فيها إلى قطعتي لحم " مضغة " مخلقة هي الجنين النامي مكتمل الخلق، وغير مخلقة هي المشيمة. [19] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ [الحج: ٥]. والجنين في بداية هذا الطور وإن كان سويا إلا أن نظامه الحركي مكون من غضاريف وألياف ثم تتحول هذه الغضاريف إلى عظام ثم تكسى لحما كما نصت الآية وبينت المعرفة الطبية الحديثة. [20] وبنهاية هذا الطور يكمل الجنين الأربعينات الثلاث التي نص عليها الحديث. ويتكامل النمو وينشأ بتمامه خلقا آخر مباينا للخلق الأول مباينة ما أبعد ما بينها. [21] ثم يبعث الملك لكتابة العمل والأجل والرزق وشقي أو سعيد ثم تنفخ فيه الروح مصداقا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويخرج الطفل من مرحلة الحمل لا يعلم شيئا، إلا انه مزود بما يؤهله ويعينه على الحياة السوية التي أرادها له الله سبحانه وتعالى. ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]. فوصف أطوار هذه المرحلة يجئ في سياق الدلالة على قدرة الله سبحانه وتعالى وعظمته. فلا إشارة إلى عامل آخر مؤثر على النمو بجانب قدر الله تعالى. فهذه المرحلة هي مرحلة عمل ما يشار إليه بعوامل الوراثة أو النضج والتطور البيولوجي خارج إطار التناول الديني.

(18) المرجع نفسه، ص ١٩٣–٢٠٥.

(19) شقفة، ص ٢١٨–٢٢٠.

(20) شقفة، ص ٢٤٥.

(21) الرازي، تفسير الرازي، مرجع سابق، مج ١٢، ج ٢٣، ص ٨٥–٨٦.

المرحلة الثانية:

تبدأ هذه المرحلة من النمو بلحظة ميلاد الطفل وتنتهي بالموت الذي يختلف موعده باختلاف آجال الناس ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى ﴾ [غافر: ٦٧]. فيخرج إلى الدنيا الكائن المزود باللبنات الأساسية الضرورية لبقاء ونمو الإنسان الكامل المستعد لتحمل الأمانة، المخلوق على أكمل وجه. ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: ٤]. إلا انه مع ذلك ضعيف معرض لأقوى المؤثرات الخارجية التي يمكن أن تؤثر على نموه وتحدد مصيره.

كما تصف الآيات كذلك أطوار النمو الجسمي المتقلبة خلال حياة الإنسان بعد الولادة بين الضعف الملازم للطفولة والقوة المرتبطة بالنضج ثم الأيلولة إلى الضعف تارة أخرى مع التقدم في العمر إلى الشيخوخة والهرم. ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤]. فالضعف إشارة إلى حاله حين كان جنينا وطفلا مولودا ورضيعا ومفطوما وهذه أحوال غاية الضعف التي تنمو بعدها القوة ثم تضمحل ويبلغ الضعف تمامه أي الشيبة بعد الكهولة. (22)

وتشير الآيات كذلك إلى النمو العقلي المستفاد من التجارب المرتبطة بالتقدم في العمر بعد أن ولد الإنسان لا يعلم شيئا. ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ [الأحقاف: 15]. فالبلوغ إلى الأربعين وصول إلى آخر مدة الشباب التي يحصل فيها الكمال اللائق بالإنسان شرعا وطبا. وبعدها تبدأ القوى الطبيعية والحيوانية في النقص وتأخذ القوة العقلية في الاستكمال. (23) إلا أن هذا النمو العقلي يتوقف ثم يتراجع مثله مثل النمو الجسمي بتطاول العمر ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يس: ٦٧]. ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [النحل: ٧٠]. فينتقل الإنسان من الشباب إلى الشيخوخة ومن العقل الكامل إلى الخرف والغفلة. فيزول

(22) الرازي، تفسير الرازي، مج ١٣، ج ٢٥، ص ١٣٧.

(23) الرازي، مج ١٤، ج ٢٨، ص ١٧—٢٠.

العقل ويترتب على ذلك رداءة العمل. [24] كما يفهم من التوجيهات النبوية مراعاة هذا النمو أو الاستعداد العقلي لتحمل التكاليف والأعباء الدينية. " مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر". [25] ويراعى هذا التدرج العمري في سياسة وتربية الصغار

عموما. عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم " الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى. فإذا بلغ ست سنين أدب، وإذا بلغ تسع سنين عزل عن فراشه. فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة والصوم، فإذا بلغ ست عشرة زوجه أبوه ". [26] فهذه الرواية لابن حبان وإن اختلفت في السن التي يضرب على ترك الصلاة فيها عن الرواية المشهورة إلا أنها تؤكد التدرج في سياسة الطفل بزيادة العمر.

وتشير الآيات القرآنية كذلك إلى مواقيت محورية في حياة الإنسان ترتبط بكمال الأهلية لتحمل التكاليف الدينية والأعباء الاجتماعية. ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [النور: 59] ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [النساء: ٦]. فالحلم أو بلوغ النكاح يمثل كمال الاستعداد البيولوجي وبداية مرحلة الشباب وتحمل الأعباء الدينية والاجتماعية المرتبطة به.

وتتعدد أنواع النمو المشار إليها في هذه المرحلة بخلاف المرحلة الأولى التي يشار فيها إلى النمو الجسمي بصورة أساسية. فوصف الخطاب الديني للنمو البشري في الحياة الدنيا يشمل جوانب النمو الجسمي والأخلاقي الديني والعقلي والاجتماعي؛ ويعين مراحل النمو قبل الولادة وبعدها ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ

(24) الرازي، مج ١٠، ج ٢٠، ص ٧٩–٨٠.

(25) الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٢ م، مج ١، كتاب الصلاة، باب فضل الصلات الخمس، ص ٣١٧.

(26) الغزالي، الإحياء، إحياء علوم الدين، ط ٣ مزيدة ومنقحة، دار القلم، د. م. ن، ب. ت، ج ٢ ص ٢١٧.

طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [غافر: ٦٧] حيث يشير إلى ثلاث [27] مراحل أساسية للنمو بعد الولادة هي:

(1)**مرحلة الطفولة:** وتبدأ بخروج الطفل إلى الدنيا ﴿ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ وتنتهي عند البلوغ الذي يمثل بداية مرحلة التكليف والمساءلة على الأعمال. وتشير الآيات القرآنية إلى خصوصية وأهمية فترة الرضاع وما يتبعها من فصال في هذه المرحلة. فتحديد سن الرضاع بعامين ﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ [لقمان: ١٤]. أو ثلاثين شهرا في رواية لأبي حنيفة. [28] إشارة ضمنية إلى حاجات الطفل الخاصة في هذه المرحلة التي تستدعي تعيين

من يكون مسئولا مسئولية مباشرة عن رعاية الطفل النامي. وتنص الآيات صراحة على حق الأم في إرضاع طفلها. ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. وإن تعذر ذلك ينتقل الإرضاع إلى أخرى ﴿ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى ﴾ [الطلاق: ٦]. وتؤكد واجب المولود له أو من يقوم مقامه بالإنفاق على المرضع. ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. وذلك حتى لا يكون الرضيع ضحية التنازع والتباغض الذي قد يعقب الطلاق بين الأبوين. وبنفس الوضوح وضحت الآيات عدم استخدام المولود كأداة مكايدة أو ضرر بين والديه. ﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

ومرحلة الطفولة هي مرحلة الإعداد المبكر والتدريب على تحمل التكاليف الدينية والأعباء الاجتماعية المرتبطة بالتمييز الذي يبدأ عند السابعة ويكتمل عند العاشرة بحسب ما أفاد الهدى النبوي.

(2)**مرحلة بلوغ الأشد:** أو ما يسمى بسن الشباب. ﴿ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾ [الحج: ٥]، وهي مرحلة نمو يمتد إلى بلوغ كمال الشدة، أي وصول قوة الشباب إلى أقصي مداها وتمتد إلى الأربعين. ويحدد بدايتها البلوغ الذي يمثل بداية التكليف والمساءلة على الأعمال. وسماها القرآن بمرحلة الكهولة ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

(27) الرازي، تفسير الرازي، مج ١٤، ج ٢٧، ص ٨٦.

(28) محمد علي الصابوني، روائع البيان تفسير في آيات الأحكام من القرآن، ط ٣. ج ٢، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ١٩٨٠ م، ص ٢٤٤.

[آل عمران: ٤٦]. و" الكهل حال بين الغلومة وحال الشيخوخة " [29] وقال بعضهم يقال له حدث إلى ست عشرة سنه، ثم شاب إلى اثنتين وثلاثين، ثم يكتهل في ثلاث وثلاثين. [30] وهي جميعا حال اكتمال الشدة والقوى.

(3)**الشيخوخة:** أي سن الأربعين وما بعدها ﴿ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ﴾ [غافر: ٦٧] حيث تبدأ مرحلة الضعف والاضمحلال الذي قد يبلغ مستوى التنكيس بالطعن في السن والشيبة. فقد تمتد هذه المرحلة حتى بلوغ مرحلة أو سن أرذل العمر وهي مرحلة لا يبلغها الكثيرون ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾ [النحل: ٧٠].

ومراحل النمو السابقة ليست مراحل حتمية يمر الناس بجميعها. بل يحكمها الأجل الفردي، فقليل من الناس من يبلغ أرذل العمر وتتفاوت الآجال دون ذلك فمن الناس من يموت قبل أن يولد. والجدير بالملاحظة في هذه المراحل التي سماها القرآن الكريم عدم ارتباطها بسن عمري معين، عدا ذكر الحولين كسن للفصال والاستغناء عن الرعاية الخاصة المطلوبة للرضيع. وذكر الأربعين سنة كمؤشر على بلوغ الكمال والإيذان ببداية التدهور والتراجع. بينما تشير الأحاديث إلى السابعة كبداية للتمييز ثم بلوغ كماله عند العاشرة في أصح الروايات. كما أن هذه المراحل الثلاث تفصل بينها مواقيت محورية هي بلوغ الحلم الفاصل بين الطفولة وبلوغ الشدة. وبلوغ الأربعين كمؤشر على بلوغ الكمال العقلي. كذلك يفهم من عدم ربط مراحل النمو بأعمار معينة تفاوت الناس في سرعة ترقيهم خلال هذه المراتب النمائية.

كذلك يشير محتوى الخطاب الديني إلى المؤثرات على النمو التي تتمثل في:

(1)**خلق الله وقدره:** ويشمل العوامل الوراثية وكل ما لا سبيل للإنسان للتحكم فيه مثل الأجل والرزق وغيرها ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

(29) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، مج ٢، ج ٤، ص ٩٠.
(30) المرجع نفسه، ص 91.

(2)**حرية الإرادة الفردية:** ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]. وتتمثل آثارها بأوضح صورها في الجانب الأخلاقي والديني وقد تؤثر على البيئة المحيطة بالفرد في دائرة التأثير والتأثر المتبادل بين الفرد وبيئته الطبيعية والاجتماعية. وما يترتب على ذلك من تأثير على النمو الفردي.

(3)**العوامل البيئية المحيطة:** والمتمثلة في غواية الشيطان وأثر الرفقة والصحبة الحسنة والسيئة. ﴿ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٨-٢٩]. وفي الحديث " مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير. فحامل المسك إما أن يُحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة ". (31)

إن إلقاء نظرة عامة على طريقة تناول المصادر الأصلية للنمو الإنساني يتأكد منها الغرض الديني المتمثل في الهداية والدلالة على وجود الخالق وتمام قدرته. إلا انه مع ذلك تناول متكامل يوضح أطوار وآليات النمو والمؤثرات عليه للعظة. ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (28) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ [الإنسان: ٢٨–٢٩].

النمو عند مفكري الإسلام:

أثرت النظرة الدينية للنمو على تناول مفكري الإسلام له، فركز غالبيتهم على النمو الأخلاقي الديني أو ما يعرف بتزكية النفس، تمكينا للفرد المسلم من توطيد علاقته بخالقه باتباع أوامره واجتناب نواهيه في كل جوانب حياته. فكان الاهتمام بالنمو ووصفه اهتماما بالكيفية والوسائل الممكنة من التوصل إلى أداء الأمانة والقيام بالتكليف على أكمل وجه. وبرزت تبعا لذلك الرؤى حول أنماط النمو ومحدداته في سياق التوجيهات التربوية في سياسة النشء وحفظ خلقهم وأخلاقهم وإرشادهم لما فيه صلاح دينهم ودنياهم. فالنمو في نظر مفكري الإسلام عملية متواصلة لبلوغ غاية محددة. ويشير إلى هذا ابن سينا بقوله: " إنما النمو ما كان على تناسب طبيعي في جميع الأقطار ليبلغ به تمام النشء ثم بعد ذلك

(31) البخاري، ج ٣، مرجع سابق، كتاب الذبائح والصيد، باب ٣١، ح ٥٥٣٣، ص ٣٩٨– ٣٩٩.

لا نمو البتة وإن كان سمن كما أنه لا يكون قبل الوقوف ذبول وإن كان هناك هزال ". [32] فالنمو زيادة متوازنة وتطور مضبوط في جميع المناحي لغاية محددة هي بلوغ التمام والكمال المرجو. وقد أشار ابن سينا كذلك في مؤلفاته إلى المؤثرات على النمو وعلى حفظ صحة النفس والبدن والأخلاق. [33] وأولى هو وغيره عناية خاصة لنمو الأطفال والعوامل المؤثرة عليه وتمثل ذلك في اهتمامهم بالحبالى والأطفال والصبيان والعناية بهم. [34] وقد تعدى هذا الاهتمام بنمو الأطفال الكتابات الطبية إلى المؤلفات التي قصد منها إرشاد الطالبين رضا الله سبحانه وتعالى. فهذه المؤلفات وإن كانت موجهة إلى فئة معينة تسعى وراء تلك المقاصد، إلا أنها لا تخلو من إشارات إلى النمو عامة ونمو الأطفال خاصة. ومن أمثلة هذه المؤلفات رسائل إخوان الصفا ورسالة الغزالي " أيها الولد "، و" تدبير المتوحد " لمسكويه وغيرها. فتناول المفكرون المسلمون أنماط النمو المختلفة مع التركيز الواضح على النمو العقلي والإدراكي التزاما بما يتميز به الإنسان عن البهائم.

ومن أمثلة التناول المتكامل للنمو المهتدي بآيات القرآن ونصوص الحديث في الفكر الإسلامي ما أشار إليه ابن قيم الجوزية في الفصل السابع عشر من كتابه " تحفة المودود بأحكام المولود " الذي أفرده لوصف " أطوار ابن آدم من وقت كونه نطفة إلى استقراره في الجنة أو النار ". الذي استند فيه إلى الآيات من سورة المؤمنون ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢–١٤]. كما استعان فيه بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الأربعينيات في الخلق الذي سبقت الإشارة إليه، وغيره من أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام التي تفصل ما جاء مجملا في وصف مراتب نمو البشر في القرآن الكريم. فأورد ابن قيم الجوزية في الباب المذكور أراء الأطباء والفقهاء وأهل العلم من مختلف الملل والأعراق حول مظاهر نمو الأطفال والمؤثرات عليها. مقدما على تلك الآراء جميعا ما ورد نصه في كتاب الله أو حديث رسوله. مرجحا بعد ذلك بين الآراء، مثبتا ما يراه

(32) أبو علي الحسن ابن علي ابن سينا، القانون في الطب، دار صادر، بيروت، جمادي الآخرة ١٢٩٤ هـ، ج ١، ص ٦٧.

(33) المرجع نفسه، ص ١٥٠–١٥٧.

(34) أنظر: أحمد بن محمد بن يحي البلدي، كتاب تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم، تحقيق محمود الحاج قاسم محمد، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠.

صوابا إن توفرت الأدلة على ذلك. وممسكا عن إبداء رأيه في المسالة إن لم يقف على ما يدعم به وجهة نظره. فتتبع تخلق الجنين موردا الآراء حول أول ما يخلق من أعضائه [35]، دون أن يدلي برأيه في ذلك. كما أورد كثيرا من الآراء الطبية التي نسبها إلى أبقراط ووقف عند عدم تطابق الكثير منها مع النص القرآني. وقد تأكد عدم صحة هذه الآراء علميا. كما تناول مقدار زمن الحمل واختلاف الأجنة في ذلك وأسبابه وما يرتبط به من أحكام شرعية. كذلك أشار إلى تصرف الله سبحانه وتعالى المطلق في الطبيعة وتنويعه في خلقه كما يشاء. فالأذكار والإناث وإن كان يستند إلى السبق والعلو بين ماء الرجل وماء المرأة إلا انه مستند إلى مشيئة الخالق. ولم يهمل الإشارة إلى أثر طعام الحامل وتجاربها على المولود من حيث الحسن والقبح. [36]

ثم تتبع بعد ذلك نمو الكائن البشري من الميلاد إلى الموت وما يتبعه من بعث وحشر. فعلل بكاء المولود حين مولده بسبب طبيعي هو مفارقته إلفه ومكانه الذي كان فيه. وسبب منفصل عنه هو " طعن الشيطان في خاصرته ". [37] ثم قسم مراحل نموه بعد ذلك مستندا إلى ثلاثة مواقيت محوريه تحدد أطوار النمو هي التمييز والاحتلام وبلوغ الأربعين. فقسم مراحل أو أطوار النمو إلى المراحل التالية:

(1)**ما قبل التمييز**: وتبدأ بميلاد الوليد إلى سن التمييز الذي " ليس له سن معين "، فيتراوح بين الخامسة والسابعة لتفاوت البشر. " من الناس ما يميز لخمس ". إلا أن السابعة يتأكد فيها التمييز ويترتب على ذلك الأمر بالصلاة كما جاء في الحديث الشريف " مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين ". [38] ويمر الطفل بعدة أطوار قبل التمييز، فهو صديغ دون ستة أيام لأنه لم يشتد صدغه، ثم رضيع مادام يرضع، ثم فطيم إذا قطع عن الرضاعة، فإذا دب ودرج فهو

(35) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، مرجع سابق، ص ١٦٨–١٨٠.
(36) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، مرجع سابق، ص ١٨١–١٩٢.
(37) المرجع نفسه، ص ١٩٧.
(38) المرجع نفسه، ص ١٩٧–١٩٨.

دارج، ثم إذا بلغ خمسة أشبار فهو خماسي، فإذا سقطت أسنانه فهو مثغور، ثم مثغر إذا نبتت بعد سقوطها، فإذا بلغ سبعا وما قاربها فهو مميز. (39)

(2)**سن التمييز**: وتبدأ من السابعة وما قاربها وتمتد إلى الاحتلام. وعند العاشرة يقوى التمييز ويضرب على ترك الصلاة ضرب تأديب وتدريب كما أمر النبي عليه الصلاة والسلام وذلك لزيادة عقله وقوة احتماله. " فهو وان رفع عنه قلم التكليف فانه قد أعطي آلة معرفة الصانع .. وتمكن من النظر والاستدلال كما هو متمكن من فهم العلوم والصنائع ومصالح دنياه ". (40) وهو عند العاشرة مترعرع وناشئ فإذا قارب الحلم فهو يافع ومراهق ومناهز للحلم. (41)

(3)**بلوغ الأشد**: وهي مرتبة بين البلوغ والأربعين سنه، " ومعني اللفظة من الشدة وهي القوة والجلادة ". (42) " وليس للبلوغ حد بالسن بل بالاحتلام "، " وليس عن الرسول صلى الله عليه وسلم في السن حد البتة ". ويرد سبب اضطراب الفقهاء في السن التي يحكم فيها ببلوغ الصبي إلى ذلك. ويستدل على البلوغ بأمرين أحدهما الاحتلام لقوله تعالي: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [النور: ٥٩]. ولحديث النبي صلى الله عليه وسلم: " رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يشب وعن المعتوه حتى يعقل ". (43) أما الأمر الآخر فهو " الإنبات، وهو نبات الشعر الخشن حول قبل الصبي والبنت ". فإذا تيقن بلوغه صار مكلفا وثبتت له جميع أحكام التكليف لبلوغه أول الشدة. (44) والبالغ إذا اجتمعت قوته فهوَّ حذور، واسمه في جميع ذلك: غلام ما لم يخضر شاربه، فإذا اخضر شاربه واخذ عذراه في الطلوع فهو باقل، ...ثم هو بين ذلك وبين تكامل لحيته فتى وشارخ بحصول شرخ الشباب له. (45)

---

(39) المرجع نفسه، ص 205.

(40) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، مرجع سابق، ص ٢٠١.

(41) المرجع نفسه، ص ٢٠٥.

(42) المرجع نفسه، ص ٢٠٤.

(43) أبي عيسى محمد بن سورة، سنن الترمذي، الجامع الصحيح، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض، ج ٤، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، د. م. ن، ب. ت، كتاب الحدود، باب ١ حديث ١٤٢٣، ص ٣٢.

(44) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود، ص ٢٠٢–٢٠٤.

(45) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود، ص ٢٠٥.

(4)**الكهولة:** وهي من الأربعين إلى الستين. يأخذ بعد الأربعين في الضعف ونقصان القوى على التدريج كما كسبها على التدريج. (46)

(5)**الشيخوخة:** يأخذ فيها بعد الستين.

(6)**الهرم:** إذا انحطت قواه. " فإذا تغيرت أحواله وظهر نقصه فقد رد إلى أرذل العمر فالموت أقرب إليه من اليد إلى الفم ". (47)

فرسم ابن قيم الجوزية بذلك نموذجا وصفيا لمراحل النمو وما يرتبط بها من تغيرات جسمية، وما يترتب عليها من أحكام شرعية، مرتبطة بالتمييز والتكليف. مفصلا أطوار النمو التي أشارت إليها المصادر الأصلية. وقد استند في ذلك على ما تعارف عليه الناس نتيجة الملاحظة والتجارب البشرية وبعض المعلومات الطبية. كما أشار بشكل عام إلى مراحل ثانوية في مراحل النمو الرئيسية مستدلا عليها بالتغيرات في المقدرات والبنى الجسمية والتي ترتبط بالنضج ارتباطا أوثق من ارتباطها بالعمر.

كذلك تناول فخر الدين الرازي النمو في تفسيره الكبير فقسم مراحل مدة سن النماء إلى أربع مراحل أو " أسابيع يحصل للآدمي بحسب انتهاء كل سابوع منها نوع من التغير يؤدي إلى كماله ". (48) حيث يساوي السابوع سبع سنوات. وهذه السوابيع هي:

(1)عند نهاية السابوع الأول تصلب الأعضاء بعض الصلابة وتقوى الأفعال وتتبدل الأسنان الضعيفة، وتكون قوة الشهوة في الهضم.

(2)في السابوع الثاني تقوى قوة الهضم وتقوى الأعضاء وتصلب ويتولد فيه مادة الزرع فيحكم الشرع عليه بالبلوغ لاعتدال الدماغ وكماله. ونبات الشعر وحصول الاحتلام.

(46) المرجع نفسه، ص ٢٠٥.

(47) المرجع نفسه، ص ٢٠٥.

(48) الرازي، تفسير الرازي، مرجع سابق، مج ١٤، ج ٢٨، ص ١٨.

(3)وفي السابوع الثالث يدخل في حد الكمال ويزداد الحسن والكمال.

(4)أما الرابع فتتكامل فيه الأحوال وتتزايد وعند نهايته لا يظهر الازدياد. [49]

فهذه السوابيع الأربعة تغطي كل مراحل النمو والزيادة في حياة الإنسان لذا سماها مجتمعة بسن النماء أو مرحلة النماء فلا نماء في المراحل التي تليها والتي أشار إليها في موضع آخر من التفسير الكبير عندما رتب عمر الإنسان على ثلاث مراتب هي "كونه طفلا، وأن يبلغ أشده، وأن يبلغ الشيخوخة ". [50] فالمراحل التي تلي النماء هي المراحل التالية:

مرحلة الشباب: " تمام الشدة " ومدتها سابوع واحد قد يزداد أو ينقص باختلاف الأشخاص إلا أن غايته بلوغ الأربعين. وهذه المرحلة هي مدة الوقوف وهو السن الذي يحصل فيه الكمال اللائق بالإنسان شرعا وطبا.

مرحلة الشيخوخة: وتبدأ ببلوغ الأربعين التي تعني الوصول إلى آخر مدة الشباب وبعدها تبدأ القوى الحيوانية والطبيعية في النقص والقوى العقلية والنطقية في الازدياد. [51] وتنتهي بالموت [52] ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٦].

من الطرح السابق يتضح أن الرازي قسم عمر الإنسان إلى ثلاث مراحل أساسية هي:

(1)**سن النمو**: وتشمل الطفولة والمراهقة وتمتد إلى الثامنة والعشرين من العمر.

(2)**سن الوقوف**: وهي مرحلة تمام وكمال ذروتها سن الخامسة والثلاثين.

(3)**سن الضمور** للقوى الحيوانية وبداية الاستكمال للقوى العقلية عند بلوغ الأربعين مستدلا ببعث الأنبياء بعد استكمال الأربعين سنه. وتنتهي بنهاية الحياة.

(49) الرازي، مج ١٤، ج ٢٨، ص ١٨–١٩.
(50) المرجع نفسه، مج ١٤، ج ٢٧، ص ٨٦.
(51) المرجع نفسه، مج ١٤، ج ٢٨، ص ١٩–٢٠.
(52) المرجع نفسه، مج ١٢، ج ٢٣، ص ٨٦.

ويوضح الرازي أن هذه الأعمار التي حددها يختلف فيها الناس بالزيادة والنقصان باختلاف الأمزجة أي طبيعة الخلقة والتكوين. (53) ويعتمد تقسيمه لمراحل النمو بصورة أساسية على مظاهر النمو من حيث استمرار زيادتها أو توقفها أو نقصها. فكأنه يرسم خطا بيانيا صاعدا للنمو حتى يبلغ مداه الأقصى في حدود الثلاثين من العمر. ثم يحافظ على هذا المعدل الأقصى حتى بلوغ الأربعين ثم يبدأ بعد ذلك في الانحدار التدريجي الذي قد يبلغ القاعدة التي بدأ الارتقاء منها في بداية النمو إذا امتد به العمر.

وبجانب هذين النموذجين المميزين لوصف النمو أثبت مسكويه مراحل نمو الطفل في تهذيب الأخلاق في الفصل الذي أفرده " لتأديب الأحداث والصبيان خاصة ". (54) فتتبع نشؤ القوى التي تظهر في الوليد على التدريج والتي تتركز في مقتبل العمر حول حفظ الحياة بصورة أساسيه. فأولها ظهورا التي يشتاق بها إلى الغذاء، فتحدث معها القوة على التماسه بالصوت الذي يعبر به عن اللذة والأذى كالبكاء الدال على الجوع، ثم تحدث له القوة على التماس ما يشتهى ويطلبه بما خلق له من آلات. ثم يحدث له الشوق ثم التخيل ثم الغضب. ثم يحدث له تمييز الأفعال الإنسانية ويتدرج في ذلك حتى يصير إلى كمال التمييز فيسمي عاقلا. (55) أما الغزالي فأشار إلى أنماط متعددة من القابلية للنمو في مؤلفاته التي قصد منها إلى إرشاد الطالبين إلى مراتب الوصول إلى الحضرة الإلهية. فتتبع نمو الطفل منذ مولده من خلال الوصايا التي يجب اتباعها في سياسة الصبيان (56) والتي تتوافق مع نمو أجسامهم ومقدراتهم في طريق الإعداد لحياة الصوفية. (57) مثبتا للتدرج في اكتساب جميع القوى والخصائص " بل سنة الله عز وجل جارية في جميع خلقه بالتدريج في الإيجاد حتى أن غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج وكذلك جميع القوى

(53) الرازي، مج ١٤، ج ٢٧، ص ١٩.

(54) أبي علي أحمد بن محمد مسكويه، تهذيب الأخلاق، حققه قسطنطين زريق، الجامعة الأمريكية بيروت، ١٩٦٦ م، ص ٥٥.

(55) المرجع نفسه.

(56) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، مع مقدمه في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي وفلسفته في الإحياء، بقلم بدوي طبانه، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د. م، د.ت، ص ٦٩—٧٠.

(57) Anver Gil`adi, Children of Islam : Concepts of Childhood in Medieval Muslim Society, Macmillan Academic and Professional LTD, London, 1992, P. 45.

والصفات ". [58] كذلك فصل الغزالي في " المنقذ من الضلال " أطوار الإدراك الذي يخلق في الإنسان متدرجا مرتبطا بالنضج الجسمي. فيبدأ بالإدراك الحسي ثم التمييز ثم العقل ثم ما وراءه من نبوة. كما وصف الترقي في درجات الاعتقاد الذي يبدأ بالحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق استنادا على استعداد الصبي. فمبدأ الاعتقاد " يقدم إلى الصبي في أول نشوئه لحفظه ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا فشيئا ". فمن فضل الله شرح قلب الإنسان للإيمان من غير حجة ولا برهان، فيكون التلقين ثم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد الذي يستدعي التقوية والتثبيت في نفس الصبي حتى لا يزال بنقيضه. " فيكون أول التلقين كإلقاء بذر في الصدر وتكون هذه الأسباب كالسقي والتربية ". [59]

كذلك حدد ابن باجه مراحل النمو الإنساني إلا أنه فعل ذلك في إطار وصفه للنمو المرتبط بتطور قوى النفس الثلاث النباتية والبهيمية وصولا للناطقة المفكرة التي تتطور بتقدم العمر الإنساني. فقسم مراحل النمو النموذجية للإنسان إلى ست مراحل هي:

(1)**الطفولة**: يتحرك فيها بالطبع إلى ما يشتهي ويفعل عن النفس الغاذية.

(2)**اليفعة**: " الحال التالي للطفولة لا اسم له يخصه في لغة العرب " [60] يفعل فيه عن النفس البهيمية.

(3)**الشباب**: تنشأ فيه الروية.

(4)**الكهولة**: جودة الفكر.

(5)**الشيخوخة**: جودة الرأي.

(6)**الهرم**: توجد له الحكمة.

وترتبط هذه المراحل الست بمتطلبات اجتماعية تتناسب والنمو النفسي والجسمي للفرد وبأفعال القوى المنسوبة لكل مرحلة، كما تهيئ كل مرحلة للتي تليها. " كل حال في سن توطئة لما بعدها... فمن كان في سن ولا يفعل أفعال

(58) الغزالي، الإحياء، ج ١، ص ٨٧.

(59) المرجع نفسه، ج ١، ص ٩٣–٩٤.

(60) ابن باجه الأندلسي، كتاب تدبير المتوحد، تحقيق وتقديم معن زياده، ط ١، دار الفكر بيروت، ١٩٧٨ م، ص ٩٠.

القوى المنسوبة إليها فإنما هو في السن الأولى لم ينفصل عنها .. فان نقصته القوى فذلك نقص في الطبع مثل المعتوهين ... وأما أن توجد له ولا يفعل بها وذلك أيضا معتوه ولكن دون الأول...وأما إذا استخدم القوى الجديدة في تجويد أفعال القديمة فهو بهيمي .. إلا أنه يفعل فعل تلك البهيمة أكثر وأجود بالروية ". [61] فيتدرج الإنسان في مراتب السلوك الاجتماعي والسمات والملكات الفكرية بحسب القوى والملكات التي تميز كل مرحلة. فإن لم يستخدم الملكات المتاحة له للترقي للدرجة الأعلى فإنه وإن لم يعد في زمرة المعتوهين إلا أنه بهيمي يستخدم ما يستجد من ملكات لإنجاز أهداف أو رغبات دون المرتبة التي ينبغي أن يرقي إليها. فالنقص إذا ليس من قبل ألسن بل من قبل الإنسان نفسه. [62] فتركيز ابن باجه على نمو وتطور قوى النفس وبناء الشخصية. لا يتطرق إلى وصف السمات الجسدية أو الأحكام الشرعية المتعلقة بكل طور. بل يركز على ترقي القوى الناطقة المفكرة وصولا للحكمة التي يتحلى بها الحكيم أو الفيلسوف للعيش في مجتمع يندر فيه وجود أمثاله. وهو مقصده من تأليف رسالته " تدبير المتوحد ".

كما تناول النمو الإنساني كذلك ابن طفيل. الذي تميز بتتبعه لنمو الإنسان من بدء خلقه إلى بلوغه الكمال الإنساني المتمثل في الاتصال بالله سبحانه وتعالى، بأسلوب قصصي فلسفي يصف النمو المتكامل الجوانب، الجسمية والإدراكية والأخلاقية والعقلية التي تؤثر تأثيرا متداخلا على النمو البشري. ولا يمكن أن يبلغ الكمال المرجو من النمو والتطور دون اكتمال جميع هذه الجوانب. [63] ويتميز تناول ابن طفيل الفلسفي للنمو عن تناول ابن باجه بصبغته الصوفية المتأثرة بالحكمة المشرقية. ويجنح الاثنان في تناولهما لمراحل النمو وغاياته إلى المثالية. فمراحل النمو التي يجهدان في وصفها هي مراحل نمو الخاصة ولا يبلغ غاياتها العليا سواهم من البشر. وهذا الطرح يبعد بعض الشيء عن التصور الإسلامي الواقعي للنمو المستمد من المصادر الأصلية أو المتأثر بالتجارب الإنسانية بالإضافة إلى المصادر الدينية.

(61) المرجع نفسه، ص ٨٩–٩١.

(62) المرجع نفسه، ص ٩١.

(63) أنظر: ابن طفيل، حي بن يقظان، تقديم مصطفى غالب، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٣ م.

وكثرت الإشارات إلى النمو الإنساني في الفكر الإسلامي على غرار النماذج السابقة دليلا على الاهتمام البالغ الذي حظي به النمو. وليس من المستغرب أن يهتم المسلمون بالنمو البشري، فهو يدخل في إطار النظر إلى الأنفس الذي دعا إليه خالقهم وتعاليم دينهم كسبيل هداية وإقناع مؤدي إلى الإيمان بالله على بصيرة وليس اتباعا أعمى. فلا عجب إذا أن تتعدد النظرات في نمو الأنفس بتعدد الناظرين وتفاوتهم في العلم والمقدرات واختلافهم في الغايات التي يرومون الوصول إليها. فنجد من الناظرين إلى آيات الله في الأنفس من التزم الإشارات القرآنية لمراحل النمو محاولا التوسع فيها بقدر ما أوتي من سعة معرفة وقدرة على الاستنباط. واستفاض آخرون في الاستعانة بمعارف السابقين والمعاصرين في النظر إلى مراحل النمو البشري وفهم غاياته القصوى التي لا تتعلق بالنمو المادي فقط بل تتعداه إلى أنماط أخري من النمو الفكري والروحي المرتبط بالغاية التي من أجلها أوجد الإنسان. ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فأثبتت هذه الجهود مجتمعة اهتمام المسلمين بالنظر في النمو الإنساني وأدت هذه الجهود إلى إيجاد ما يمكن أن يستخلص منه مقومات النظرة العامة إلى النمو في الفكر الإسلامي التي تقوم على مبدأ الخلق الإنساني المتفرد المتدرج المراحل التي يحكمها قدر الله الغالب على الكون. إلا أن ذلك لا يلغي إرادة الفرد في اختيار سبيل ترقية خلال مراحل النمو المتصلة والتي لا تنتهي بالموت. بل يمثل البعث والحساب والجزاء مرحلة حياة أخرى لا تنطبق عليها مبادئ وضوابط الحياة الأرضية. فترتكز النظرة الإسلامية إلى النمو على مبادئ تتمثل في الآتي:

الإقرار بالنمو الناتج عن الخلق المتدرج للإنسان. ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح: ١٣–١٤].

إمكانية التعرف على أطوار الخلق وأصله. ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ [العنكبوت: ٢٠]. ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ [الطارق: ٥].

الهدف الأساسي من التعرف على أطوار النمو أو الخلق هو الاستدلال على وجود الخالق بالنظر إلى فعله ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]. وذلك لاستحالة النظر إليه ﴿ قَالَ رَبِّ

أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وكون المشاهدة أقوى السبل المؤدية إلى التصديق والإيمان .. ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ارتباط النمو الإنساني بالإيجاد المتفرد لأبي البشر آدم عليه السلام وأصله الطيني. ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [ص: ٧١–٧٢].

صلة البشر بهذا الأصل الطيني صلة مباشرة. ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [فاطر: ١١]. ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف: ٣٧].

اختلاف البشر ذكورا وإناثا وشعوبا وقبائل مع وحدة الأصل. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [النساء: ١] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

النظرة المتكاملة إلى النمو الإنساني التي يستدل فيها بمظاهر النمو الجسمي على نمو قوى الإدراك والتعقل. ﴿ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ [النور: ٣١] ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [النور: ٥٩].

تعدد العوامل المؤثرة على النمو وتراوحها بين قدر الله ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢] وإرادة الفرد ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: 44]. والعوامل المحيطة. ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ ﴾ [الطور: 21].

امتداد الخلق والنمو إلى غاية قصوى تتعدى الوجود الأرضي الذي ينتهي بالموت. ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٥–١٦].

انطلاقا من المبادئ السابقة تناول المسلمون النمو البشري فكان تناولهم في غالبه يستند إلى الواقع المشاهد أو ما يمكن الاستدلال عليه بآثاره المشاهدة. كما ارتبط تناولهم كذلك بالهدف الديني الرباني من إيجاد الفرد ونموه وما يترتب على هذا النمو من تدرج في تحمل أعباء التكليف في الحياة الدنيا كما ينبغي. لما لذلك من أثر على الحياة الآخرة.

النمو في علم النفس:

مثل النمو مجالا واسعا متعدد الجوانب للدراسات النفسية. فاختلفت الاتجاهات في دراسة النمو باختلاف المدارس والدارسين للمظاهر والعمليات النفسية. ويمكن تقسيم اتجاهات دراسة النمو في علم النفس إلى أربعة تيارات نظرية رئيسية تختلف فيما بينها في الجوانب التي تهتم بها وتتناولها في دراسة النمو [64] وهي:

(1) نماذج النضج البيولوجي Maturation And Biological Models: تتمحور النظرة إلى النمو في هذا الاتجاه حول المحددات البيولوجية الموروثة للنمو. فالنمو في هذا السياق عملية نضج بيولوجي [Maturation] محكوم بمبادئ ارتقاء الجنس البشري التي تنعكس على مراحل تطور سلوك الفرد في بيئته. وتعتبر أعمال أرنولد جيزل Arnold Gesell [١٨٨٠-١٩٦٠] من أمثلة هذا الاتجاه في دراسة النمو البشري. فقد عمل جيزل ومعاونوه على مدار سنين طويلة على تتبع نمو الأطفال في المجتمع الأمريكي، وعملوا على توثيق أنماط النمو المتكامل للسلوك الذي يشمل جوانب السلوك الحركي واللغوي والتكيفي والشخصي الاجتماعي للأطفال. حيث اعتبر التاريخ الارتقائي للنوع [Evolutionary History] وعوامل التطور والنضج البيولوجية الفردية المحددات الأساسية للنمو. فالنمو عملية منظمة متدرجة تتبع نمطا واحدا لجميع الأفراد وإن كان لكل فرد نموذج ومعدل فريد للنمو. ومرد

(64) Neil J. Salkind, An Introduction to Theories of Human Development, Sage Publications, Thousand Oaks, California, 2004, P. 15-16.

الاختلاف في معدل النمو إلى الفروق الفردية الموروثة. [65] أما أثر البيئة على النمو فأثر مؤقت يزول بزوال مسبباته لتعود عملية النمو إلى مسارها الطبيعي. [66]

ويشمل هذا الاتجاه لدراسة النمو في علم النفس كذلك ما يعرف بعلم النفس التطوري [Evolutionary Psychology]. الذي يعزو جميع أنواع النمو لجينات معينة. مشابها في ذلك علم الاجتماع البيولوجي [Sociobiology] إلا أنه يختلف عنه بإثباته لأثر البيئة والعوامل الخارجية على النمو مع تفسيره لجميع أنواع النمو السلوكي بدوافع جينية متمثلة في ضمان بقاء النوع وتحسين فرص بقاء الفرد في بيئته. فنمو السلوك من وجهة النظر البيولوجية عامة ناتج عن تفاعل البيئة والعوامل الوراثية، لا تفاوت في ذلك بين أعضاء مملكة الحيوان عامة، إلا إن المحدد الأساسي للنمو يتمثل في العوامل الجينية والتراكيب الموروثة، التي تنتج عنها الموجهات الأساسية للنمو، والتي يستعان بها لوضع خطة عامة للنمو. كما يشمل هذا الاتجاه البيولوجي لدراسة النمو كذلك ما يعرف بعلم الإنسان أو علم الأجناس البشرية [Ethology] الذي يدرس أنماط السلوك الموروثة التي يتميز بها الجنس البشرى. والتي تتمثل في أنماط من السلوك الغريزي غير المتعلم ضرورية لبقاء الكائن البشرى تورث عبر الأجيال المتعاقبة لحفظ النوع عامة [67]، فهي في غالبها ردود أفعال غير متعلمة لمثيرات بيئية معينة. فيمكن القول إن دراسة النمو في هذا الاتجاه الهدف منها فهم أطوار النمو الطبيعي للكائن البشري بالاستعانة بخارطة نمو النوع التي يفترضها الارتقائيون.

(2)اتجاه التحليل النفسي The Psychodynamic Approach: النمو في هذا الاتجاه مرتبط بالغرائز. [68] ويستند إلى نظرية فرويد النفس جنسية. حيث يرى أن النمو عبارة عن تطور في كيفية استخدام الطاقة النفسية [Psychic Energy] في خفض التوتر [Tension]. وذلك بإشباع الحاجات التي تزداد تنوعا بتنوع الخبرات ومتطلبات

(65) Arnold Gesell, Frances L. Ilg, Louise Bates Ames, Youth : The Years From Ten To Sixteen, Harper and Brothers, New York, 1956, P. 16-27.
(66) Salkind, op. cit, P. 61-76.
(67) Ibid, P 80-89.
(68) Ibid, P. 18-20.

العيش. فخلال النمو يتغير توزيع الطاقة النفسية على الأنظمة الثلاث الهو [The Id] الذي يمثل المتطلبات والدوافع البيولوجية؛ الأنا [The Ego] الذي يمثل المحددات الاجتماعية؛ الأنا العليا [The Super Ego] الذي يمثل المحددات الأخلاقية للسلوك. (69) ويرتبط هذا التغير في استخدام الطاقة النفسية بمراحل النمو النفس جنسية التي يري فرويد إن جميع الأطفال يمرون بها وتتضمن كل مرحلة حاجات جديدة يتم التعامل معها بواسطة هذه الأنظمة النفسية الثلاثة. (70) وهذه المراحل رغم ارتباطها الظاهري بالعمر إلا أنها معرضة للتأخر الذي يؤثر على بناء الشخصية في مراحل متقدمة من الحياة. فعدم إشباع الحاجات في الطفولة تمتد آثاره إلى بقية العمر. (71) كما أن تسلسل هذه المراحل محكوم بعوامل جينية أو نضجية، كما يختلف محتوى المرحلة باختلاف الثقافة والحضارة التي ينشأ فيها الفرد. (72) فيتكامل بذلك أثر الوراثة والبيئة في التأثير على النمو النفسي للفرد.

محاولا التقليل من التوجه الجنسي للتحليل النفسي في النظرة إلى النمو ركز إيرك إركسون Eric Erikson على المكونات الاجتماعية ممثلة في الأنا، وأعاد تشكيل مراحل فرويد العضوية بحيث فقدت كثيرا من مضمونها الجنسي. فبحث علاقات الأنا بالمجتمع، وقضى بوجود قدرة غريزية تعمل على التنسيق والتوافق المتوازن مع البيئة. (73) ورد النمو إلى تفاعل المتطلبات البيولوجية أو عمليات النضج مع المتطلبات الاجتماعية في الحياة اليومية في ما يعرف بالاتجاه النفس اجتماعي للنمو [Psychosocial]. فحدد ثماني مراحل للنمو تغطي كل مراحل الحياة وتتمحور حول تفاعل المرء مع البيئة إيجابا وسلبا. وتصف توجيه الطفل لذاته وعالمه الخارجي. (74) وترتبط هذه المراحل باهتمامات الأنا [Ego] المتطورة المتعلقة بإثبات الهوية وتحديد الأدوار الاجتماعية. وتمثل تطور ونمو الشخصية الذي يقوم على الثقة والاستقلالية والقدرة

(69) Ibid, P. 114-120.

(70) باتريشيا هـ ميللر، نظريات النمو، ترجمة محمود عوض الله سالم، مجدي محمد الشحات، أحمد حسن عاشور، ط ١ العربية، دار الفكر، عمان، الأردن، ٢٠٠٥ م، ص ١٢١.

(71) Sigmund Freud, The Origin and Development of Psychoanalysis , EDT Munger, The History of Psychology : The Fundamental Question, Oxford University press, Oxford, 2003 , P. 263-266.

(72) Salkind, P. 123-132.

(73) ماير، ثلاث نظريات في النمو، مرجع سابق، ص ٢١.

(74) عادل عز الدين الأشول، علم نفس النمو (من الجنين إلى الشيخوخة)، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٨، ص ٩٥.

على المبادأة واكتساب المهارات التي تستغل في تفاعل وتوافق الفرد مع بيئته المحيطة لتكوين هوية الشخص التي يعتبرها أريكسون جوهر عملية النمو. وينظر إلى النمو على إنه عملية إعداد الكائن البشري للحياة الإنسانية، وهي عملية يشترك فيها البشر جميعهم. (75)

(3)وجهة النظر السلوكية The Behavioral Perspective: ينحصر الاهتمام في هذا الاتجاه حول النمو السلوكي الذي ينظر إليه على انه نتيجة تراكم خبرات مكتسبة من التعلم والخبرات السابقة. فينمو ويتطور السلوك من الأبسط إلى الأكثر تعقيدا حسب قوانين التعلم. (76) فيتم تشكيل الأفراد بفعل البيئة. (77) ويقوم التعلم والنمو السلوكي على علاقة المثير والاستجابة (78) وقد ارتبط هذا الاتجاه السلوكي بصفة عامة بالسلوكيين الأمريكيين أمثال جون واتسون Watson وسكنر Skinner وإن كانت أصوله تعود إلى عالم علم الحيوان الروسي إيفان بافلوف Evan Pavlov وتجاربه حول ردود الفعل المتعلمة. فانصب اهتمام السلوكيين على دراسة المبادئ والعوامل المؤثرة على التعلم وبالتالي على السلوك كمبادئ التعزيز [Reinforcement] والتعميم [Generalization] والتشكيل [Shaping] والترابط [Chaining] وأثرها على التغير النمائي للسلوك المبني على التعلم. (79) وتمثل أعمال سيدني بيجو Sidney W. Bijou ودونالد باير Donald M Baer نموذج الاستخدام المباشر لمفاهيم وقوانين التعلم السلوكية في دراسة وتفسير ظواهر النمو. فيما يعرف بتحليل السلوك [Behavior Analysis]. (80)

ويتبع لهذا التوجه في دراسة النمو كذلك ما يعرف بنظرية التعلم الاجتماعي [Social Learning Theory] التي يجمع العاملون في إطارها بين وجهتي نظر التحليل النفسي والسلوكية. وخير مثال لهذا التوجه في دراسة النمو أعمال

(75) المرجع نفسه، ص ٦٣–٦٤.

(76) Salkind, P. 161-164.

(77) ميللر، نظريات النمو، مرجع سابق، ص ١٦٣.

(78) Salkind, P.169.

(79) Ibid, P. 167-188.

(80) Donald M. Baer; Sidney W. Bijou, Child Development : A Systematic and Empirical Theory, vol. 1, Appleton Century Crofts, New York, 1961, P.1-7, from site : http ://www.questia.com.

روبرت سيرز Robert Sears [١٩٠٨–١٩٨٩] حول التعلم الاجتماعي [Social Learning] والتي تركزت على النمو في الطفولة المبكرة. فيري سيرز أن نمو الطفل عملية مستمرة يستند فيها السلوك اللاحق على السابق ويحل محله. وتنتج التغيرات السلوكية عن النضج الجسماني والأثر الاجتماعي الثقافي. (81) وتملي الظروف الاجتماعية وجود ثلاث مراحل للنمو السلوكي (82) تتدرج من السلوك البدائي الفطري [Rudimentary Behavior] الذي يرتكز على الحاجات البيولوجية في الطفولة المبكرة. إلى النظم السلوكية الثانوية [Secondary Behavior System] التي ترتكز على التعلم في نطاق الأسرة. وتليها مرحلة النظم الدافعية الثانوية [Secondary Motivational System] التي ترتكز على التعلم في نطاق أبعد من الأسرة. (83)

حيث تتمحور المرحلتان الأولى والثانية حول احتياجات الطفل الفطرية والتفاعل مع الأسرة. فينمو الطفل سلوكيا من الاعتماد على الأم إلى ضبط النفس والسيطرة على الدوافع واكتساب السلوك الاجتماعي الملائم. و" يتميز النمو الناجح بانخفاض درجة الأفعال التي ترتكز على الحاجة وزيادة السلوك المرتكز على المجتمعية ". (84) ويتمثل ذلك في التغير المستمر في درجة الكفاءة والسرعة التي يعالج بها الطفل أفعاله في سعيه لإيجاد علاقة ناجحة بينه وبين بيئته الاجتماعية. (85)

كذلك من الأعمال البارزة حول التعلم الاجتماعي أعمال ألبرت باندورا Albert Bandura التي استقلت استقلالا تاما عن توجه التحليل النفسي. (86) حيث يمثل التعلم الاجتماعي عن طريق التقليد والمحاكاة العنصر الأهم في نظرته للنمو السلوكي التي جمع فيها بين المبادئ السلوكية والمعرفية للنمو مما حدا بباندورا مؤخرا إلى تسمية نظريته بنظرية

(81) ماير، ص ١٧٣–١٧٩.

(82) المرجع نفسه، ص ١٨٠–١٨٢.

(83) Salkind, P. 204-209.

(84) ماير، مرجع سابق، ص ١٨٤.

(85) المرجع نفسه، ص ٢٠٥.

(86) Salkind, P. 209-213.

المعرفة الاجتماعية [Social Cognitive Theory]. [87] حيث تلعب العمليات المعرفية دورا هاما في تحديد السلوك الناتج أو المتعلم من موقف ما. كما يضع باندورا أهمية كبرى على مقدرة الفرد في التحكم على تفاعله مع البيئة وأنماط سلوكه المترتبة على ذلك التفاعل عن طريق مراقبة النفس والحكم على الأفعال. [88]

(4)اتجاه النمو المعرفي The Cognitive Developmental View: يتوقف النمو في هذا الاتجاه على المشاركة الفاعلة للفرد في التعامل مع المؤثرات البيئية. ويتم النمو في سلسلة مراحل تتبع نمطا هرميا معينا، بحيث تستند المراحل اللاحقة إلى السابقة. [89] ومن أبرز الأعمال في هذا الاتجاه أعمال بياجيه وفايجوتسكي حول النمو العقلي. فالنمو في نظر بياجيه Piaget " عملية تلقائية ينتج عنها إضافة وتعديل وإعادة ترتيب

مستمرة للبنيات النفسية ". [90] حيث إن الطفل يولد مزودا ببنى عقلية أولية [Schemata] قابلة للتغير الكمي والنوعي عن طريق عمليتي التنظيم [Organization] والتكيف [Adaptation]. فعن طريق التنظيم تتحد البنى العقلية لتكون وحدات كلية، وعن طريق التكيف تتلاءم مع متطلبات البيئة. ويتم التكيف عن طريق عمليتين متكاملتين هما الاستيعاب/التمثيل [Assimilation] والتلاؤم/التوافق [Accommodation]. ويسعى الفرد " النظام المعرفي " دائما إلى تحقيق الاتزان [Equilibration] بين عمليتي التمثيل والتوافق. [91] وتعتبر عملية الاتزان العملية الكبرى التي تضم كل عناصر النمو فتؤدي وظيفة التوفيق والتنظيم لباقي العوامل الثلاثة المؤثرة على النمو وهي عوامل النضج البدني والخبرة بالبيئة المادية وتأثير البيئة الاجتماعية. ويرى بياجيه مسار النمو العقلي المعرفي كحالات من التوازن

(87) ماير، ص ١٧٣–١٧٩.

(88) Amanda Moore's Page on Bandura Life Theory, site:
http ://fates.cns.muskingum.ed/~psycweb/history/bandura.htm

(89) Salkind, P. 22-24.

(90) Ibid, P.231.

(91) Jean Piaget, The construction Of Reality In The Child, Trans. Margaret Cook, 1955, site:
http /www.marxists.org/reference/subject/philosophy/works/fr/piaget2.htm.

المتتابعة يمر بها الطفل بصورة مختلفة خلال مراحل النمو الخمس التي فصلها بياجيه والتي تتحقق في نهايتها أتم صور الاتزان. (92)

أما فايجوتسكي Vygotsky فينظر للنمو كتغيرات " ثورية "، [Revolutionary] ناتجة عن التواصل الاجتماعي، وفي هذه اللحظات الثورية تتغير طبيعة عملية النمو نفسها. مما يستدعي ضرورة التركيز على دراسة وفهم عمليات النمو نفسها وليس نواتجها. (93) فركز على الأثر الاجتماعي الثقافي على النمو، وأولى اهتمامه نمو الطفل المتفاعل مع بيئته الاجتماعية. (94) محاولا بذلك إثبات الأثر الغالب للتعلم الاجتماعي على النمو السلوكي. فرغم اعترافه بدور وأهمية النضج البيولوجي كمؤثر على النمو السلوكي إلا أنه يركز على دور البيئة الاجتماعية المحيطة في التأثير على النمو البيولوجي ليوافق المتطلبات الثقافية الاجتماعية والغايات الحضارية. (95) فالنمو عملية داخلية المنشأ خارجية التوجيه والتنظيم. والتفاعلات بين البشر أنفسهم من ناحية وبينهم وبين الطبيعة من ناحية أخرى أدت إلى تغير الإنسان ونمو سلوكه تاريخيا. (96)

الاتجاهات السابقة لدراسة النمو في علم النفس، رغم اختلافها في جوانب النمو التي استحوذت على اهتمام كل توجه، تكمل بعضها البعض في دراسة نواحي النمو الإنساني اللازمة لإعداد الكائن البشري للحياة الإنسانية الممتدة من الميلاد إلى الموت. فيجمع بينها النظر إلى مراحل نمو الطفل بعد ميلاده ولا تتناول مراحل نمو الجنين. وان كانت لا تقلل من أهمية المؤثرات على المرحلة الجنينية وتأثيرها على النمو بعد الميلاد. كذلك لا تشير اتجاهات علم النفس إلى تأثير

(92) ميللر، نظريات النمو، مرجع سابق، ص ٦٧–٧٠.

(93) James V. Wertsch, Vygotsky And The Social Formation Of Mind, Harvard University Press, Massachusetts, 1985, P.17-19.

(94) Ibid, P348-350.

(95) Lev Vygotsky, The Problem Of The Cultural Development Of The Child, first published 1929, The Journal Of Genetic Psychology, 36,413-32. Site: www.marxists.org/archive/Vygotsky/works/1929/cultural_development.htm.

(96) Lev Vygotsky, Three Planes Of Psychological Development, 1930 source : Ape, Primitive Man, And Child : Essays in the History of Behavior. Site : www.marxists. org/archive/Vygotsky/woks/1930/man/ch01.htm.

العوامل الغيبية على عملية النمو وتحصر كل المؤثرات على النمو في طائفتين رئيسيتين من الأسباب الوراثية والبيئية. فالنمو في علم النفس عبارة عن عملية تغيير وتطور شبه تلقائي لبنى أولية بفعل عوامل النضج التي يحكمها التركيب الوراثي البشري والفردي أو المؤثرات البيئية المحيطة بالفرد. وتتباعد الشقة بين الاتجاهات المختلفة وتقترب أحيانا في تغليب أثر البيئة على الوراثة أو العكس أو الاعتراف بأثريهما مجتمعين على النمو.

كما تتفق مدارس علم النفس المختلفة بصورة عامة في نظرتها إلى النمو كعملية انتقال من المراحل الفطرية البدائية إلى الأكثر تعقيدا. ومن التأثر بالعوامل الفردية إلى تأثير العوامل المجتمعية. واستناد مراحل النمو اللاحقة على السابقة.

وبمقارنة تناول النمو في الفكر الإسلامي وتناوله في علم النفس يتضح أن الطرح أو التناول الإسلامي للنمو تراوحت مصادره بين المصادر الدينية متمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية من جانب، والآراء البشرية الطبية والفلسفية من جانب آخر. إلا أن النظرة إلى النمو في جميع الحالات لا تنفصل عن الغرض الديني من وجود الإنسان وتحمله لعبء الأمانة ومساءلته عن الأداء في الآخرة. بينما يفتقر توجه علم النفس للمرجعية المهتدية بالنصوص الدينية. فيتميز التناول الإسلامي بالاعتراف صراحة بقدر الله سبحانه وتعالى في تحديد مسار النمو وجميع العوامل المؤثرة عليه. بينما تعزي مسببات ودوافع النمو في علم النفس إلى عوامل البيئة والوراثة التي لا ينكر التوجه الإسلامي أثرها إلا أنها لا تخرج عن أحكام الخالق.

كذلك من أهم ما يتميز به النمو في الفكر الإسلامي عن النمو في علم النفس إثبات تميز الإنسان في الخلق عن بقية المخلوقات. فالإنسان مخلوق بعناية خاصة من الخالق في أحسن تقويم فلا يمكن أن يكون منحدرا من أصل بدائي وضيع كما يقول دعاة نظرية الارتقاء والتطور. (97) وكمال الخلق مما يقتضيه استعداده لتحمل الأمانة التي تصدي لها. أما النمو والتطور والتمايز من هذا الأصل فلا ينكر بل يثبته النص القرآني ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]. كما يؤكد حديث

(97) Charles Darwin, The Descent of Man, 2nd ed, 1864, site :
http ://psychclassics.yorku.ca /Darwin/Descent/descent7.htm.

الرسول عليه السلام اختلاف صورة أو هيئة الإنسان عن الهيئة التي خلق عليها أبو البشر آدم عليه السلام. فقد ورد في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم " خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا .. فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن ". (98) فتطور خلق الإنسان في إطار الإنسانية التي تفرد بها وليس في إطار مملكة الحيوان. والإنسان مخلوق من العدم إنسانا وليس خلقا آخر ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٩]. ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ [مريم: 67]. أما كون الإنسان تأخر ظهوره في الأرض عن بقية الأنواع فلان خلقه تأخر عنها .وقد ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن الله سبحانه وتعالى " خلق آدم عليه السلام، بعد العصر من يوم الجمعة. في آخر الخلق ". ورغم أن هذا الحديث قال عنه البخاري انه موقوف وقدح فيه ابن تيمية (99) إلا أن القرآن يخبر بان الله تعالى لم يخلق كل الخلق في وقت واحد. مما يدل ضرورة على تقدم بعض المخلوقات وتأخر البعض الآخر في الوجود. ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [السجدة: ٤]. أضف إلى ذلك أن الآيات المتعلقة بخلق آدم تدل صراحة على وجود الأرض والملائكة قبل آدم بدليل قول الله سبحانه وتعالى. ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]. كما يحتمل قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١]. الدلالة على وجود خلق قبله. كما يدل خطاب الله تعالى لآدم وإبليس بالهبوط إلى الأرض على أنها مكان مهيأ للاستقرار ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ [البقرة: 24]. ويعضد كون الأرض كانت معمورة قبل آدم عليه السلام ما ذهب إليه المفسرون من أن سبب تعجب الملائكة من جعل خليفة في الأرض في الآية ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [البقرة: ٣٠] هو سابق تجربتهم مع مستعمر مفسد سبق أن عمر

(98) البخاري، ج ٢، مرجع سابق، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ١، ح ٣٣٢٦، ص ٣٤٨.

(99) الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تصحيح وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩١ م ج ٩، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ١، ح ٢٧، ص ٧٣.

الأرض. وهذا ما يؤكد أن آدم عليه السلام تأخر خلقه عن الأنعام والدواب التي سخرها الله لمن يستعمر الأرض. ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣].

كذلك يتميز التناول الإسلامي للنمو بالنظرة المتكاملة لمراحل وعمليات النمو بينما تفاوتت مدارس علم النفس في المدى النمائي الذي اهتم به كل توجه من التوجهات النفسية. ففي حين ركزت جل المدارس على مراحل النمو المبكر واختلفت فيما بينها في الجوانب التي أولتها اهتمامها، نظر القلة إلى النمو البشري بصورة متكاملة ممتدة بامتداد الحياة. إلا أن الاتجاهين، الإسلامي وعلم النفس، أثبتا أهمية الاستعداد والنضج البيولوجي في كل مناحي النمو. كما اتفقا كذلك في تحديد أعمار تقريبية لحدوث النمو تختلف باختلاف الأفراد. وتعود أسباب الاختلاف بين الأفراد إلى عوامل خارجة عن إرادة الفرد يردها علماء النفس إلى الوراثة أو الطبيعة التي تخضع لإرادة الله سبحانه وتعالى في الفكر الديني. وإلى عوامل أخرى محيطة بالفرد يتأثر بها ويؤثر فيها.

كما اختلفت الآراء كذلك حول وجود فترات عمرية حرجة للنمو. ففي حين تمثل سن التمييز وبلوغ الحلم وسن الأربعين محاور أساسية للنمو في الفكر الديني الإسلامي. استفاض واختلف الدارسون للنمو من المسلمين وعلماء النفس في تفصيل المراحل النمائية وتحديد مظاهر النمو لكل مرحلة. وما يؤدي إلى تأخر النمو وما يترتب على ذلك.

مع إثبات بعض نقاط الالتقاء والخلاف بين التناول الإسلامي وتناول علم النفس. إلا أن الفريقين يتفقان بصورة أساسية حول أهمية وصف وتفسير تغيرات النمو وأسبابها في إطار فهم ودراسة الطبيعة البشرية وإن اختلفت الأهداف التي يرمي إليها كل فريق بصورة ما عن أهداف الفريق الآخر.

النتائج:

- اتفاق المنظور الإسلامي وعلم النفس في الاهتمام بظاهرة النمو الإنساني والمؤثرات عليها.
- الاتفاق بين الجانبين، الإسلامي وعلم النفس، في إبراز النمو الممرحل للإنسان، وتعدد المؤثرات على النمو لتشمل جوانب الوراثة والبيئة.

- النظرة إلى النمو في المنظور الإسلامي تغطي كامل وجود الإنسان في الأرض قبل وبعد الميلاد إلى ما بعد الموت.
- إعلاء المنظور الإسلامي لعامل المشيئة الإلهية كمؤثر مطلق التأثير على جميع المؤثرات الأخرى على النمو.
- ارتباط المنظور الإسلامي للنمو بالغاية التي خلق من أجلها الإنسان.
- تميز المنظور الإسلامي بمواقيت محورية للنمو مرتبطة بالتكاليف والواجبات الدينية والاجتماعية.
- بينما تميز المنظور الإسلامي بالنظرة المتكاملة لجوانب النمو، تميز كل تيار من تيارات علم النفس بتناول جوانب محددة من النمو الإنساني.
- عدم ابتعاد علماء النفس عن الموضوعات التي تم تناولها في التراث الإسلامي حول النمو مع استفادتهم من التقدم العلمي والتقني الحديث في تفصيل وبيان ما غمض على العلماء المسلمين.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

المراجع العربية:

(1)ابن طفيل، حي بن يقظان، تقديم مصطفى غالب، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٣ م.

(2)ابن باجه الأندلسي، كتاب تدبير المتوحد، تحقيق وتقديم معن زياده، ط ١، دار الفكر بيروت، ١٩٧٨ م.

(3)أبو علي الحسن ابن علي ابن سينا، القانون في الطب، دار صادر، بيروت، جمادي الآخرة ١٢٩٤ هـ.

(4)أبي عيسي محمد بن سورة، سنن الترمذي، الجامع الصحيح، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض، ج ٤، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، د. م. ن، ب. ت.

(5)أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الجامع الصحيح، المكتب الجامعي للحديث، الازراطية الإسكندرية، ب. ت.

(6)أبي علي أحمد بن محمد مسكويه، تهذيب الأخلاق، حققه قسطنطين زريق، الجامعة الأمريكية بيروت، ١٩٦٦ م.

(7)أبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القران، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧.

(8)أحمد بن محمد بن يحي البلدي، كتاب تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم، تحقيق محمود الحاج قاسم محمد، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠ م.

(9)الإمام أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، مع مقدمه في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي وفلسفته في الإحياء، بقلم بدوي طبانه، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د. م، د. ت.

(10) إحياء علوم الدين، ط ٣ مزيدة ومنقحة، دار القلم، د. م. ن، ب. ت.

(11) الإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تصحيح وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩١ م.

(12) الإمام محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير، قدم له الشيخ خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان بيروت، ١٩٩٥ م.

(13) الحافظ أبى عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٢ م،

(14) شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، خرج أحاديثه احمد بن شعبان بن احمد، ط ١، مكتبة الصفا، القاهرة، ٢٠٠٥ م.

(15) عادل عز الدين الأشول، علم نفس النمو " من الجنين إلى الشيخوخة "، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٨.

(16) مأمون شقفة، القرار المكين، ط ٢، دار الآداب، الشارقة، ١٩٨٧ م.

(17) محمد علي الصابوني، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن، ط ٣، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ١٩٨٠ م.

المراجع المترجمة إلى العربية:

(1)باتريشياه ميللر، نظريات النمو، ترجمة محمود عوض الله سالم، مجدي محمد الشحات' أحمد حسن عاشور، ط ١ العربية، دار الفكر، عمان، الأردن، ٢٠٠٥ م.

(2)هنري و. ماير، ثلاث نظريات في نمو الطفل، ترجمة هدى محمد قناوي، د. م. ن، ب. ت.

المراجع الإنجليزية:

1. Amanda Moore's Page on Albert Bandura, site: http://fates.cns.muskingum.edu/~psych/psycweb/history/bandura.htm
2. Anver Gil`adi, Children of Islam: Concepts of Childhood in Medieval Muslim Society, Macmillan Academic and Professional LTD, London, 1992.
3. Arnold Gesell, Frances L. Ilg, Louise Bates Ames, Youth: The Years From Ten To Sixteen, Harper and Brothers, New York, 1956.
4. Charles Darwin, The Descent of Man, 2nd ed, 1864, site: http://psychclassics.yorku.ca/Darwin/Descent/descent7.htm.

5. Donald M. Baer; Sidney W. Bijou, Child Development: A Systematic and Empirical Theory, vol. 1, Appleton Century Crofts, New York, 1961, P. 1- 7, from site: http://www.questia.com.

6. James V. Wertsch, Vygotsky And The Social Formation Of Mind, Harvard University Press, Massachusetts, 1985.

7. Jean Piaget, The construction Of Reality In The Child, Trans. Margaret Cook, 1955, site: http://marxists.org/reference/subject/philosophy/works/fr/piaget2.htm

8. L. S. Vygotsky, The Problem Of The Cultural Development Of The Child, first published 1929, The Journal Of Genetic Psychology, 36, 413- 32. Site: www.marxsist.org/archive/vygotsky/works/1929/culture_development.htm 7/3/2007.

9. Three Planes Of Psychological Development, 1930 source: Ape,

10. Primitive Man, And Child: Essays in the History of Behavior. Site: www.marxists.org/archive/Vygotsky/woks/1930/man/ch01.htm

11. Neil J. Salkind, An Introduction to Theories of Human Development, Sage Publications, Thousand Oaks, California, 2004.

12. Raga A. Obeid, An Islamic Theory of Human Development, EDT, Murray Thomas, Oriental Theories of Human Development: Scriptural and Popular Beliefs from Hinduism, Buddhism, Confucianism, Shinto and Islam, Peter Lang Publishing, New York, 1988.

13. Sigmund Freud, The Origin, EDT, Margaret P. Munger, The History of Psychology: The Fundamental Questions, Oxford University Press, Oxford, 2003.